تأليفات السيرة النبوية في شبه القارة الهندية في القرن الحادي عشر الهجري

الدكتور- أبوالوفا محمود*

الحمد لله الذي رسم لنا طريق الخير والنجاة في القدوة برسوله سيدنا محمد - عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم – حيث قال:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْرًا)[1].

إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم موضوع خطير وذو أهمية كبرى ، إذ لا يمكن لكاتب أن يكتب فيه على وجهه السليم إلا إذا فهم السيرة العطرة فهماً مستمدًا من كتاب الله العزيز والحديث النبوي الشريف ، ومن كتب السيرة العطرة التي ألفها القدامى والمحدثون . ولا شك فيه أن كتب السيرة هي أعلى الكتب منزلة وأكرمها موضوعاً ، لذا اعتنى العلماء بالتأليف في فن السيرة ، و بدأوا التأليف فيها من أيام التابعين . وحركة التدوين والتصنيف مرّت بمراحل متعددة حتى استقل هذا الموضوع المهم في مؤلفات خاصة .

وللقارة الهندية حظ وافر في تأليفات السيرة النبوية ، فقد تعلّم الناس اللغة العربية وأتقنوها ، وألفوا الكتب حول السيرة العطرة من أخبار الرسول عليه السلام وشمائله ودلائل نبوته ، والشروح لها ، وكل ما يتصل به عليه الصلاة والسلام بنسب أو سبب . ومازالوا على اتصال دائم بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حتى لم تتوقف هذه الرحلة المباركة عند انهيار الدولة المسلمة في القارة الهندية .

لا نريد أن نتطرق هنا إلى أولئك كلهم الذين ألفوا كتب السيرة النبوية ، ولكننا نود أن نذكر البارزين من علماء شبه القارة الذين لهم دور فعّال في التأليف والتصنيف في السيرة النبوية ، فمنهم :

القاضي جمال الدين محمد بن عمر الملقب ببحرق الحضرمي (ت : 930هـ) ألف كتاباً سمّاه : "تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية" .

الشيخ محي الدين عبد القادر العيدروسي (ت : 1038هـ) ألف خمسة كتب في هذا الموضوع ، وهي :

اتحاف الحضرة العزيزة لعيون السيرة الوجيزة .

المنتخب المصطفى من أخبار مولد المصطفى .

الحدائق الخضرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة .

النور السافر عن أخبار القرن العاشر .

المنهاج إلى معرفة المعراج .

الشيخ أوحد الدين مرزا خان البركي الجالندهري (ت : 1100هـ) ألف كتاباً المسمّى بـ "نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس والجان" .

الشيخ محمد بيك بن يار محمد النقشبندي (1041هـ - 1110هـ) ألف كتاباً وسمّاه : "خلاصة السير في بيان ابتداء العالم وبعض أحوال خير البشر" .

الشيخ عبد الله بن محمد صديق الواعظ ألف كتاباً "ربيع القلوب في مولد المحبوب صلى الله عليه وسلم".

الشيخ محمد الواعظ الزهاوي الدهلوي ألف كتاباً سنة 1084هـ ، وسمّاه "جامع المعجزات".

أما الكتب التي عثرنا عليها فهي : "النور السافر عن أخبار القرن العاشر" للشيخ محي الدين عبدالقادر العيدروسي ، و"خلاصة السير في ابتداء العالم وبعض أحوال خير البشر" للشيخ محمد بيك النقشبندي ، و"جامع المعجزات" للشيخ محمد الواعظ الزهاوي ، و" نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس والجانّ " للشيخ أوحد الدين مرزا خان . أما المؤلفات الأخرى للشيخ العيدروسي ، وكتاب "ربيع القلوب في مولد المحبوب صلّى الله عليه وسلّم " فنسخها غير متوفرة ولم أعثر عليها . وقد ذكرها الدكتور زبيد أحمد في كتابه "عربى أدبيات مين پاک وهند کا حصه" ، وقدّم الملخص لما اشتملت عليه هذه الكتب[2].

---

* أستاذ مساعد بمركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة بنجاب لاهور

فنودّ أن نقدم دراسة هذه الكتب بالإيجاز:

النورالسافر عن أخبار القرن العاشر:

ألفه الشيخ محي الدين عبد القادر العيدروسي [3] ، وطبع الكتاب سنة 1353هـ ببغداد مع تصحيح وضبط الأستاذ محمد رشيد آفندي . فالكتاب في موضوع سير رجال القرن العاشر ، كما أشار إليه المؤلف في مقدمة الكتاب قائلا:

" هذا أنموذج لطيف ، وعنوان شريف ، ذكرت فيه وفيات من ظفرت بتاريخ وفاته ممن مات في هذا القرن الذي أوله سنة إحدى وتسعمائة ختم بالحسنى ، من سائر العلماء والصلحاء والقضاة والأدباء والملوك والأعيان ، مصرياً كان أو يمنياً، روميا كان أو هندياً ...".

فالكتاب يعدّ من سلسلة الكتب التي ألفت حول السير والوقائع التاريخية حسب الترتيب الزمني، مثل الكتاب "الدرر الكامنة" لابن حجر ، "والضوء اللامع" للسخاوي . كما أن المؤلف أورد في كتابه قصصاً طريفة وحوادث عجيبة . أما موضوع السيرة النبوية فتناوله في أول الكتاب ، وذكر الحافز الحقيقي والغرض السامي منه هو الحصول على البركة وإجلالاً لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال:

"ولنذكر قبل الشروع في المقصود بنبذة من أوصاف سيد المرسلين وأفضل الأولين والآخرين ، تيمّناً بذكره واستشعاراً لعظيم قدره ، وعسى أن أسعد بشفاعته ، وأحشر في زمرته ، لحبي إياه ، والتجائي إلى شريف علياه صلى الله عليه وسلم ".

بدأ المؤلف بذكر ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم متحمساً وبعاطفة حبّ الرسول عليه السلام مبيّناً فضائل ولادته . وحذا حَذْوَ الصوفية في بيان بركاتها ، واستخدم المصطلحات كالحقيقة المحمدية والأنوار الصمدية والحضرة الأحمدية والسرّ الصمداني . يقول المؤلف :

"اعلم أن الله سبحانه لما أراد إيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنوار الصمدية في حضرته الأحمدية ، ثم سلخ منها العوالم كلها ، علوّها وسفلها ، على ما اقتضاه كمال حكمته وسبق في علمه وإرادته . ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته ، وبشّره بعموم دعوته ، ورسالته ، وبأنه نبي الأنبياء ، وواسطة جميع الأصفياء ، وأبوه آدم بين الروح والجسد ".

يعتقد العيدروسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤخّر في إعطاء النبوة والفضائل الأخرى بل تأخر تنقله من أصلاب آبائه إلى أرحام أمهاته الطاهرة ، فيقول :

"فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها ، فنحو إيتائه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاتها معجل لا تأخر فيها ، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر صلى الله عليه وسلم ".

أتى المؤلف بمباحث فلسفية وكلامية ومتصوفة ، حتى صار موضوع ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم طويلا ثقيلا ، وامتلأ من المصطلحات العلمية، ثم لخص أبواب السيرة قبل الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة في فقرة واحدة . أما الحوادث الهامة من سيرته صلى الله عليه وسلم فذكرها حسب ترتيبها الزمني بشيء من التفصيل . والجزء الآخر من موضوع السيرة فيحتوي على المعجزات ، وعلى رأسها وأعظمها القرآن الكريم . وفي هذا الباب استفاد العيدروسي من المصادر الموثقة المعروفة،وأسلوبه في غير موضوع الولادة سهل وواضح .

خلاصة السير في بيان ابتداء العالم وبعض أحوال خير البشر
ألفه محمد بيك بن يار محمد النقشبندي (1041-1110 هـ). والكتاب المخطوط من مقتنيات مكتبة جامعة بنجاب .

إن الكتاب يبدأ من حدوث العالم ثم بسيرة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم وتليها سيرة الخلفاء والعلماء وتاريخ الحرمين الشريفين ، فيعدّ تأليفه في حيّز المؤلفات التاريخية . وتأليف محمد بيك هذا لم يكن في موضوع السيرة النبوية مستقلا ، بل فصّل في بيان سيرته صلى الله عليه وسلم واختار في سيرته نبذة كافية شافية ، أخذها مما صح من الأخبار .

أتى المؤلف بملخّص السيرة النبوية أولاً على النحو الآتي :

ابتدأ التأليف بشذرات الأخبار حول حلية الرسول وشمائله وأسمائه المباركة وخصاله وعاداته. ثم عدّد زوجاته وأولاده وأعمامه وعماته ومواليه ، ورسله إلى الملوك ، وكتّابه . نحو قوله عن الكتّاب: "وممن كتب له عليه السلام الخلفاء الأربعة وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أبي الأرقم ... الخ. فعدد ثلاثة عشر كاتباً . ثم ذكر أسماء الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا يضربون الأعناق بين يديه ، وذكر أيضاً أسماء النجباء ، ودوابه وسلاحه وأثاث بيته.

لقد بدأ محمد بيك موضوع السيرة النبوية بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتكلم في مسألة الروح والجسد على طريقة الصوفية . وهو أن الروح متقدمة على الجسد ، كما في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" [4].

ثم اقتصر على ذكر نبذة من معجزاته وعلى رأسها معجزة القرآن الكريم ، ثم إخباره عن البيت المقدس ومعجزاته الأخرى كمعجزة شق القمر ، ورميه قبضة من تراب على ملأ من قريش حين تعاقدوا على قتله ، ورميه تراباً على أعدائه يوم حنين ، ونسج العنكبوت ، وأمر سراقة ، ومسحه على ظهر عناق التي لم ينز عليها الفحل ، ومسح ضرع شاة أم معبد فدرّتا .

ومن مصادره التي اعتمد عليها للمعجزات هي : سيرة ابن هشام ، ودلائل النبوة للبيهقي ، والشفا للقاضي عياض ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ، والإصابة لابن حجر، وسبل الهدى للشامي ، والوفاء لابن الجوزي ، والخصائص الكبرى للسيوطي وغيرها .

وبعد ذكر وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن نسبه الطاهر ثم أنساب الصحابة العشرة المبشرة رضوان الله عليهم . كما بيّن مدّة حمل آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قيل فيها، ثم قام بذكر ولادته ورضاعته والإرهاصات ، ومنها قصة سطيح ينقلها من حياة الحيوان الكبرى للدميري رحمه الله تعالى[5].

وهذا المقتبس يدلّ على أن المؤلف يصرّح غالباً بأسانيده . ثم يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم وُلِد مختوناً ، ويذكر بعد ذلك اختلاف العلماء في الختنة تحت عنوان مستقل ، وهذه مسألة فقهية أوردها في موضوع السيرة . وإلى هنا ينتهي موجز السيرة النبوية . وتلت ذلك مرحلة أخرى حيث يبدأ المؤلف السيرة المفصلة بقصة الفيل ، ويذكر الخلاف حول شهر ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويثبت إيمان أبويه ، ويبين أقسام الوحي بعد بيان بعثة الرسول ، والفرق بين القرآن والحديث القدسي . وأطنب في قصة إسلام عثمان بن عفان ، وعثمان بن مظعون ، وحمزة ، وعمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . كما أطنب في قصة معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إسنادًا من تفسير البيضاوي ، والمنهاج لأبي القاسم القشيري .

كما ذكر المؤلف قصة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بإسناد الصحاح ، والمستدرك للحاكم ، وسيرة ابن إسحاق ، وفتح الباري . وذكر ما قاله الكفار في تحويل القبلة مسندا إلى تفسير الزاهدي ، وتحريم الخمر إحالة إلى الدمياطي . وأوضح حكم حرمة الحشيش في ضمن تحريم الخمر إلى أن ذكر جميع الغزوات والسرايا بالتفصيل .

ثم يرجع إلى مقاطعة قريش وسفر الطائف بعد ذكر غزوة الطائف . وهذا يدل على عدم اقتفاء المؤلف منهجية التأليف . وكان يجب عليه أن يذكر ذلك في موضعه . وسبب ذلك كله يرجع إلى ما بيّنه في المقدمة حيث قال :

"وما كان عندي الكتب التي نقلته منها موجودة في وقت واحد . فكلما وجدت كتابا ورأيت فيها فائدة ، كتبتها في الأوراق وجمعتها وإن كان مكررا وبلا ترتيب " .

ومما يمتاز أسلوبه أنه إذا ذكر اسم موضع شرحه نحو قوله عن "أحد" : "هو جبل مشهور بالمدينة على أقلّ من فرسخ منها ، وسمي بذلك لتوحيده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ". وقوله في تسمية مزدلفة : " حتى أتى إلى مزدلفة ، وهي المسمى بجمع _ بفتح الجيم وسكون الميم _ وسميت بذلك لأن آدم اجتمع فيها مع حواء ، فازدلف إليها ؛ أي دنا منها ". كما أنه يذكر سبب تسمية مناسك الحج وأيامه أثناء ذكره حجة الوداع . ثم يذكر المعجزات التي لم يذكرها قبل في المختصر .

لقد وضع المؤلف العنوان "جوامع الكلم" يذكر فيه فصاحة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وبلاغته ، ونماذج من جوامع الكلم ، وعزاها إلى "الشفا" للقاضي عياض . ثم قال : "ومما لم يدركه القاضي" ، وأتى بثمانية وثلاثين حديثاً مع ذكر مصادرها ، وميزاتها المعنوية والبلاغية .

طريقة إسناد المؤلف :

اعتمد المؤلف على المصادر الموثوقة بها ، ولم يسلك منهجاً واحدًا في إسناد الأخبار إلى مصادرها . فيذكر أحياناً اسم الكتاب بدون ذكر صاحبه ، نحو قوله : وفي "الإكليل" . وتارة يذكر اسم المؤلف ولا يذكر تأليفه ، فيصعب على القارئ معرفة الكتاب إذا كان المؤلف كثير التصانيف ، اللهم إلا إذا كان المسند موضوعاً خاصاً نحو قوله في المفردات : "قال ابن الأثير " ، فيبدر إلى الذهن كتابه في المفردات " النهاية في غريب الحديث " . أما إذا كان المؤلف معروفاً فيكتفي بذكر اسم التأليف ، نحو قوله :"قال في المواهب اللدنية " ، أو بذكر اسم المؤلف دون تأليفه ، نحو قوله : "قال الواقدي " . ويقدم اسم الكتاب على مؤلفه أو اسم المؤلف على الكتاب .

ومن مصادر المؤلف التي ذكرها في متن الكتاب هي :

تفسير البيضاوي ، وتفسير الزاهدي الصحاح الستة ، والسنن الكبرى والشعب أي شعب الإيمان ودلائل النبوة ومعرفة السنن للبيهقي ، والمعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني ، ومسند الفردوس للديلمي ، والجامع الصغير للسيوطي ، وشرح النووي على صحيح مسلم ، ومشكاة المصابيح ، والوفاء لابن الجوزي ، وفتح الباري ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ، ومغازي الواقدي ، وسيرة ابن إسحاق ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ ابن جرير الطبري ، والكامل لابن الأثير، وتاريخ الخميس للديار بكري ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وسيرة الدمياطي ، والشفا للقاضي عياض، والروض الأنف للسهيلي ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ، وسبل الهدى والرشاد للشامي وأسماء النبي لابن فارس ، والبحر الرائق شرح الكنز الدقائق ، وكنز العمال للمتقي الهندي ، وشرح التنقيح للعراقي، والمنهاج لأبي القاسم القشيري ، وفتاوى العلامة قاسم أحد الأئمة الحنفية ومحقيقيها (كذا) ، وشرح الوقاية ، والمسك الكبير للكرماني ، والإكليل ، وحلّ الرموز لعز الدين بن غانم المقدسي، وينبوع الحياة لابن ظفر، والاتقان للسيوطي.

وقد أشار إلى بعض هذه المصادر في مقدمة الكتاب حيث قال : " إن هذا الكتاب مختصر مما اختصره الفقيه النبيه ... يحيى العامري من تاريخ الإمام الأكمل الحسين بن عبد الرحمن الأهدل ، وهو اختصره من تاريخ الإمام اليافعي ، وهو نقل عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي التركماني . وذكرت في هذا المختصر بعض الأعلام منه ، فهو كالفهرست .وضممت إليه بعض التراجم من كتب أخرى ؛ كتاريخ مكة ، شرّفها الله تعالى لكتب الدين ، وتاريخ الخميس ، والكتاب في بيان طبقات الحفاظ والمواهب اللدنية ، وكتاب مناقب الإمام الأعظم وغيرها من الكتب التي ذكرت اسم كل واحد منها عند ذكر ما نقل عنه ".

يشير المؤلف إلى المصدر الذي أخذ منه أو اقتبس منه ، وهذا يدل على أمانته العلمية . كما يبيّن درجة الحديث والخبر من حيث الصحة والضعف . ولا ينسى أن يذكر مما طعن فيه علماء الحديث والسيرة. ونبّه قرّاء كتابه على أن الحديث المذكور بيّن ضعفه جماعة من العلماء . نحو حديث تكلم الحمار مع النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، ويعدّ الحديث في معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي أخرجه ابن عساكر ، حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما اسمك ؟) فقال : يزيد بن شهاب ... الخ . ثم علق عليه المؤلف قائلا : " لكن الحديث مطعون فيه وضعّفه جماعة" . وهكذا اتبع المؤلف منهجه في بيان صحة الحديث وضعفه وسرد أقوال علماء الحديث حينما ذكر حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها في إحياء أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به . وبعد ذكر الحديث يرى المؤلف الواجب عليه أن يذكر أقوال العلماء عليه ، فيقول : " أورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق . وقال السهيلي : إن في إسناده مجاهيل . وقال ابن كثير : إنه منكر جدا" .

أسلوب محمد بيك في خلاصة السير:

قدّم محمد بيك للقرّاء معلومات تاريخية بأسلوب سهل ، ويستطيع بثقافته العلمية والواسعة أن يبيّن ما يريد إبلاغه بسهولة بعيدا عن التعقيد . وتجنب عن التكلف وإتيان المحسنات إلا ما أتى عفواً . ولم يقصّر في التوضيح والبيان ، وقد يوجد له التكرار في الحوادث ، حين يوردها أولا ملخّصة في بدء تأليفه ثم يسردها بشيء من التفصيل أو يفصّلها تفصيلا كاملا . وقد بيّن ذلك المؤلف بقوله : " وبعض التراجم والقصص وقع في هذا المختصر مكررا بتغيير من الكتب المختلفة لأجل صحة النقل والتأكيد والفائدة الجديدة . كما وقع تكرار الأحاديث في صحيح البخاري . لهذا ذكرت في بعض السنين الذي وقعت فيه بعض الوقائع والحوادث المشهورة للرجال المعتبرة في أي سنة كان . وما كان عندي الكتب التي نقلته منها موجودة في وقت واحد ، فكلما وجدت كتابا ورأيت فيها فائدة ، كتبتها في الأوراق وجمعتها ، وإن كان مكررا وبلا ترتيب ".

ومما يؤخذ على المؤلف أنه لم يراع الترتيب في تقديم الحوادث من ناحية وفي تنسيق الموضوع من ناحية أخرى .

أطنب محمد بيك في سرد الحوادث كما فعل في ذكر الغزوات ، فبين موقعها الجغرافي وتفاصيلها التاريخية ، نحو قوله في غزوة تبوك : " وهو مكان معروف ، وهي نصف طريق المدينة إلى دمشق ، وهي غزوة العسرة ، وتُعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها " ، ثم يأتي بتفاصيلها . فالكتاب موجز ومفصّل في وقت واحد .

اعتنى محمد بيك بضبط الكلمات ، نحو قوله في غزوة المريسيع : " بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة " . ونحو قوله في غزوة بني المصطلق : " بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء وكسر اللام بعدها قاف : وهو لقب واسمه خزيمة بن سعيد بن عمرو ، بطن من خزاعة " .

اطلع محمد بيك على الكتب الكثيرة من التفسير والحديث والسيرة والتصوف والفقه ، فذكر مصادر الأخبار في متن الكتاب . مع ذلك كان في أمس الحاجة إلى كتب المصادر ، وقد ذكر ذلك في المقدمة حيث احتاج إليها أثناء تأليفه ليستفيد منها . وكان كثير المطالعة كما يبدو من المصادر التي ذكرها في الكتاب .

كما أنه يشرح اسم حدث ويبين سبب تسميتها ، نحو قوله في غزوة ذات الرقاع : " إن تسميتها بذات الرقاع ؛ لأنهم رقعوا فيها راياتهم " .

جامع المعجزات

ألفه الشيخ محمد الواعظ الزهاوي الدهلوي سنة 1084هـ . وللكتاب نسختان ، إحداهما موجودة في مكتبة الجامعة العربية بمدينة كوجرانواله ، وأخرى محفوظة بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور ، وتحتوي على 133 ورقة .

أشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى هدف تأليفه قائلاً : " لما رأيت في الكتب المعتبرات[5] من التفاسير الواضحات ومن شروح الأحاديث الصحيحات ، ومن كتب السير والمواعظ معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، أردت أن أجمع تلك المعجزات في مكان واحد ، وإن لم يمكن جمع جميع معجزاته؛ لأن معجزاته أكثر من أن تعد وتحصى . ولكن طلبت ما اقتدرت ، وجمعتها في هذه الرسالة الشريفة المباركة ، وسميتها بجامع المعجزات طلباً لرضا الله تعالى وزخر الآخرة ، ورجاء شفاعة يوم القيامة ".

جمع الزهاوي في تأليفه الغث والسمين ، وتساهل في قبول الأخبار وبيان المعجزات . فعرض المعجزات الحسية بتفصيل كثير مشوب بالأخبار الواهية ، ويروي ما يصادم العقل ، فإنه يسرد قصصاً فيها نوع من المبالغة . فيقول عن سفره صلى الله عليه وسلم إلى الشام متاجراً بمال خديجة رضي الله تعالى عنها ، وقد رأت في منامها نزول الشمس في بيتها :

" فهمت خديجة بأن تزوّج نفسها منه في تلك الساعة ، ولكنها خافت من التهمة، وقالت : استأجره الآن ، وأصبر في عشقه حتى يفتح الله بيننا ... فجاء النبي عليه السلام إلى باب دارها وجلس نكيساً حزيناً ، وكان يقطر دموع عينيه على خديه، حتى بكت ملائكة السماوات ببكائه رحمة الله عليه ..".

ثم يقصّ حالته صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى الشام بقوله : "ودخل الطريق باكياً ، وقال في نفسه : أين والدي عبد الله ، وأين والدتي آمنة حتى يبصرا حال ولدهما . وا ويلاه من اليتمة ، ويا ويلاه من الغربة التي عرضت علي ... فوقع الأنين في الملائكة ببكائه ومناجاته ". ثم يورد الحوار بين خديجة وبين ورقة بن نوفل حين قالت له : "فقد وكلتك يا عمي بتزويجي إياه ، فرجع ورقة بن نوفل إلى دار أبي طالب ، وعقد النكاح وخطب النبي عليه السلام بنفسه خطبة "[7].

هذه النماذج ونماذج أخرى تدل على أن الشيخ محمد الواعظ يروي السيرة النبوية بأسلوب قصصي ، وليس لها سند في كتب التاريخ والسيرة الموثقة المعروفة ، نحو حديث جابر وطرح ابنيه كلاهما في التنور ، وأحياهما الله تعالى بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أعثر على هذه الرواية في كتب الحديث المعروفة .

عدّ المؤلف نكاح خديجة رضي الله تعالى عنها من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأطنب فيه ، كما عدّ منها نكاح عائشة رضي الله تعالى عنها ، وذكر فضائلها ، ثم ذكر حديث الإفك بالتفصيل . وعدّ من معجزاته أيضا نكاح فاطمة رضي الله تعالى عنها . و هكذا نراه يبيّن عدّة جوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال معجزاته .

حين ذكر المؤلف معجزة وخرج من الموضوع ، ثم أراد أن يعود إلى موضوعه ، فيقول : "رجعنا إلى ما نحن فيه ". رؤيت العجمة عند ه في بعض الأحيان ، كقوله : "إن الراهب نظر إلى مهر النبوة " . فاستخدم كلمة "مهر " بمعنى الخاتم.

أما الأخطاء اللغوية والإملائية فهي كثيرة جدا ، وتنوعت وتعددت في التذكير والتأنيث ، والأزمنة والأفعال وتصريفاتها .

نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس والجانّ

ألفه أوحد الدين مرزا خان البركي ثم الجالندهري[8]. وللكتاب عدة نسخ . والنسخة الأم التي نسخه المؤلف بيده هي من مقتنيات جامعة بنجاب .

لقد جمع مرزا خان في هذا الكتاب ثلاثة أشياء حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي :

1- أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم الظاهرة : بدأ المؤلف نظم الدرر والمرجان بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذكر أحوال ولادته ورضاعه ، وزواجه ، وبعثته ، وإسرائه ، وهجرته وغزواته ، وحجّته ، ووفاته ، وأحوال من حوله وما حوله .

2- شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهرة : وهي التي اهتم بها العلماء الأفذاذ قديماً وحديثاً ، وأفردوها بتأليف كتب مستقلة ؛ كأمثال محمد بن عيسى الترمذي ، والحافظ ابن كثير . فلم يتركوا جانباً من أحوال الرسول العملية إلا وقد دوّنوها . حوى المؤلف صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الجسدية ومحاسنه الخُلقية ، وأحواله في عبادته وهديه ومعملته ، ما وجد في كتب الشمائل . وأضاف إليه ما ورد في كتب الصحاح والسنن والمسانيد .

3-دلائل نبوّة الرسول صلى الله عليه وسلم الباهرة : وهذا الموضوع أيضاً اهتمّ به العلماء ، وأفردوه بالتأليف والتصنيف كأمثال أبي نعيم والماوردي والبيهقي . استعرض مرزا خان الإرهاصات قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ، وأورد معجزاته مستفيداً من كتب الدلائل ، فقد كان تعويله في هذا الباب على كتاب دلائل النبوّة لأبي نعيم ، ثم على كتاب دلائل النبوة للبيهقي .

استهلّ المؤلف الكتاب بمقدمة ، حمد الله تعالى فيها وأثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام، ثم ذكر اسمه واسم تأليفه مع بيان سبب التأليف، وهو أنه يريد أن يقتحم نفسه في سلك زمرة مؤلفي كتب السيرة النبوية ، كما ذكر سبب تلخيصه للسير بأنه يبيّن فيه ما قرب مأخذه ونقله ، وسهل تناوله وحمله؛ ليكون للمبتدي تبصرة وللمنتهي تذكرة.

منهج مرزا خان :

اعتمد مرزا خان في جمع مادة كتاب "نظم الدرر والمرجان " على المصادر الصحيحة ، بدءاً من الكتب الستة . وقد جمع الأحاديث النبوية - ليضمنها في الكتاب - في "مذكراته" حوالي خمسة وثمانين حديثا مع ذكر مصادرها .

ذكر ترجمة حياة النبي صلى الله عليه وسلم بإيجاز غير مخلّ ، ولكنه أطال في ذكر الإسراء والمعراج كما أطال في أوصافه الحميدة ، وأوجز في ذكر غزوات الرسول ، فذكرها في صفحة واحدة .

بيّن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم منذ ولادته حتى وفاته حسب الترتيب الزمني .

ذكر معظم الأحيان أشهر الأقوال أولاً ، وتليه أقوال وآراء أخرى . وتارة يذكر الخلاف في الآراء ويرجح آخرها كقوله في يوم ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم : "فهذه خمسة أقوال مشهورة ، والأشهر الراجح هو الأخير" .

شرح مفردات القرآن من تفسير البيضاوي في هامش الكتاب ، وفي نهاية توضيح كلمة يضع علامة (بيض) .

بدأ معظم العبارات بكلمة "كان" ، وهذه العبارات أحاديث نبوية جمعها في "مذكراته" التي كانت محتوية على عدّة صفحات . وذكر في نهاية الحديث مصدره الذي أخذ عنه . فمعظم أحاديث مذكراته أخذت من الجامع الصغير للسيوطي من باب "كان".

سلك المؤلف منهج ابن فارس في كتابه "أوجز السير" ، ومنهج المحب الطبري في "خلاصة السير" ، ولكن توسّع في سرد الأحاديث وتوضيح المعلومات أكثر منهما . أما موضوعات الكتاب فجاءت في حدود مألوف ومعروف ، ومن حيث المضمون والجوهر فكان لمرزا خان شخصية متميّزة ، ومنهج تجديدي رائد ، استفاد من ابن فارس وأضفى عليه من روحه . فهو في الكتاب كله يريد أن يقدّم السنة المطهّرة معتمداً على الآثار الصحيحة .

ابتعد المؤلف عن الحشو والاستطراد الذي يعيق القارئ عن الفهم الكامل .

أسلوبه :

اتّسم أسلوب مرزا خان في كتاب "نظم الدرر والمرجان " بالبساطة والسهولة والبعد عن السجع والمحسنات البديعية ، حيث أنه يدرك حقيقة الموضوع وكنهه ، فالحقيقة الناصعة لا تحتاج إلى تكلف أو زخرف . فاعتمد مرزا خان في تأليفه الأسلوب العلمي خالياً من التلوين والتدهين ليفهمه عامة الناس ويستفيد منه الخاصة .

إن أسلوب مرزا خان فيه رائع وسلس ، لم يؤلف أحد قبله في السيرة بهذا الأسلوب ماعدا المحب الطبري في "خلاصة السير " ، ولكنه أتى بمباحث كثيرة لا نجدها عند الطبري ، وكتب السير السابقة بهذا النسق . كما يقول مرزا خان في نهاية الكتاب : "قال العبد الضعيف مؤلفه : قد فرغت من تسويد هذا الكتاب الجليل القدر الذي ما صنّف في الإسلام قط فيما أظنّ " . فقدّم مرزا خان إلى الأمة الإسلامية السيرة النبوية العطرة في ثوب جديد ، تميّز به على من سبقه ، وأضاف إليه من فكرته ، فأفاد وأجاد .

حافظ مرزا خان على الأمانة العلمية بروح العاطفة الصادقة في حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والإخلاص المكين مع تواضعه ، فيقول في المقدمة :

" وبعد : فيقول العبد المسكين ، المتمسك بالعروة الوثقى ، أحد خدّام حديثه ، أوحد الدين مرزا خان البركي ..." .

وبهذا نرى أن لعمل مرزا خان في هذا الكتاب فضل الجمع والإحاطة بإيجاز غير مخلّ ، وتميّز المؤلف على من سبقه من أصحاب الملخصات والمختصرات في تقديم فكرته ، ودقة منهجه بأسلوب شيّق .

مميّزات الكتاب :

هذا الكتاب يبدأ بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم وينتهي بوفاته . يهتمّ فيه المؤلف أن يبيّن حوادث السيرة النبوية حسب الترتيب الزمني ، فنرى فيه الوقائع منسّقة مرتّبة .

الكتاب شاملٌ للسيرة النبوية بكل جوانبها مما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أو نسب ، وغنيٌّ بالمعلومات التي يحتاج إليها كل مسلم أن يعرف أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهو كنز المعارف حول حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمة ذاته ، وأوصافه الجميلة ، وشمائله الطاهرة ، وعاداته الطيّبة ، وأخلاقه العالية .

اعتنى مرزا خان بذكر أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله في ضوء الحديث النبوي الشريف ، واكتفى بالروايات الصحيحة المشهورة ، وذلك يدلّ على ثقافته الواسعة في علم الحديث والسيرة ، وفيما ألفه القدامى والمحدثون . وأشار إلى ذلك بقوله: "...ولكنني اكتفيت فيه بالمشهور مما أكثره في الصحيح ..." .

الكتاب ليس بمختصر مخلّ ، بل هو خلاصة كتب السير ، وعصارة أفكار عالم محدّث ومؤرخ وفقيه . فهو كاف شاف لعامة الناس وخاصتهم .

ابتعد المؤلف عن الصنائع والبدائع ، فصارت لغة الكتاب سهلة . فلا غرو أن غدا تصنيفه بعد وفاته محط الأنظار، ورغبة الطالبين ، ومنية المتعلمين . ولا غرابة في إقبال الناس عليه وتلقيهم بالقبول .

تراجم الكتاب :

1- نثر الجواهر في تلخيص سير أبي الطيب والطاهر

نقل السيد عليم الله الجالندهري[9] بن عتيق الله بن فيض الله الحسيني البلخي ثم السرهندي المتوفى سنة 1202هـ كتاب " نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس والجان " إلى الفارسية عام 1137هـ ، وسماه " نثر الجواهر في تلخيص سير أبي الطيب والطاهر " [10]. و نشرته مطبعة خادم التعليم ببنجاب في بيسه أخبار بلاهور عام 1902م .

كتب السيد عليم الله في مقدمة الكتاب مشيرا إلى هدف الترجمة إلى الفارسية .

" إني شعرت بأن الكتاب "نظم الدرر والمرجان " لأوحد الدين مرزا خان البركي ثم الجالندهري ، له قيمة علمية و يحتوي مع إيجازه على معارف نادرة ومعلومات قيّمة . فالخاصة يستفيدون منها ، أما العامة فيحرمون من رموز الكتاب . لذا بدأت أنقله إلى الفارسية مع التعليق والشرح، لكي أيسّره لعامة الناس[11].

ذكر ستوري (C. A. Story) الكتابين كلاهما ، أي " نظم الدرر " و " نثر الجواهر " معاً، فأخطأ عند ما قال : إن الكتاب نظم الدرر ألفه عليم الله الحسيني ، ونقله إلى الفارسية ميرزا خان، وسمّاه نثر الجواهر[12]. والأمر بالعكس وليس كما ظن ستوري [13].

2- سلك لآلئ كذران في تلخيص سير محبوب رحمن

نقله إلى الأردية السيد محفوظ علي خان بن محمد علي خان بن أحمد علي خان لال خاني عام 1943م . كتب المتن العربي على صفحة ، وترجمه بالأردية على صفحة أخرى مقابلة لها . وكتب مقدمة في حدود اثنتا عشرة صفحة ، ذكر فيها أهمية السيرة النبوية ، كما ذكر أحواله الشخصية . وهذه الترجمة لم تطبع بعد .

مصادر المؤلف

المصادر التي استفاد منها المؤلف ذكرها في متن الكتاب أو في حواشيه أوعلى صفحات متفرقة، وهي:

أ - كتب الحديث النبوي الشريف .

ب - كتب السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم ، والشمائل ، والدلائل ، والتراجم ، والتاريخ .

لقد ظهرت عناية العلماء بـ " نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس والجانّ" منذ عصر المؤلف في إقليم بنجاب ، بل في الهند كلها عناية فائقة ، فتلقوه بالقبول والقراءة والرواية ، ونقله إلى لغتي الأردية والفارسية . فتوفر نسخ هذا الكتاب في المكتبات الرسمية والأهلية ، وفي المدارس والزوايا ، وطبعه باللغة الفارسية يدلّ دلالة واضحة على اهتمام العلماء بهذا الكتاب وعنايتهم به .

أما تأليف الزهاوي فيختلف إلى حدٍّ كبير من نظم الدرر والمرجان من حيث المنهج والأسلوب، فقد أحاط الزهاوي من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفصّل القول فيها على أسلوب الواعظين ، وهو جزء من السيرة النبوية . أما نظم الدرر والمرجان فقد التزم مؤلفه في بيان السيرة النبوية الاختصار لا يخلّ ، والإيجاز يتمّ به البيان ويستقلّ ، وبيّن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم من أوثق مصادرها .

فالكتاب "جامع المعجزات" للزهاوي نُقل إلى الأردية ، وطبع في لاهور. كذلك الكتاب "النور السافر "للعيدروسي طبع في بغداد سنة 1353 هـ ، ولم تظهر له طبعة ثانية. أما الكتاب "خلاصة السير في بيان ابتداء العالم وبعض أحوال خير البشر" لمحمد بيك فلم ينقل إلى لغة أخرى ولم يطبع بعد.

الهوامش

[1]- الأحزاب : 21

2- راجع (ص : 80- 87)

3- ولد الشيخ أبوبكر محي الدين عبد القادر بن عبد الله العيدروسي عام 978هـ بأحمد آباد . نزل أبوه الهند عام 958هـ. وكان من عائلة عيدروس اليمنية ذات مجد وسؤدد . يصل عدد مؤلفاته إلى عشرين كتابا . توفي العيدروسي عام 1037هـ بأحمد آباد . انظر : نزهة الخواطر (5/255-257) والثقافة الإسلامية في الهند (ص: 90) وتاريخ ادبيات مين باك وهند كا حصه (ص : 180-186)

4 - فيض القدير (5/54)

5- انظر : حياة الحيوان الكبرى (1/ 540-542)

6- كذا في النسختين

7- والصواب ما في سيرة ابن هشام (4/643) أن الذي زوّجها أخوها عمرو بن خويلد . وأن الذي ألقى خطبة النكاح هو أبو طالب . انظر : الوفا لابن الجوزي (ص : 142-143) وأوجز السير لابن فارس (ص : 8-9)

8- هو أوحد الدين مرزا خان بن نور الدين بن بايزيد مسكين (بير روشان) . ويصل نسبه إلى أبي أيوب الأنصاري . ولد أوحد الدين مرزا خان البركي بحيّ " كرار خان " أحد الأحياء التابعة لمدينة جالندهر. توفي مرزا خان رحمه الله تعالى عام 1100 هـ ، بعد إتمام تأليفه هذا بتسع سنوات - خدمات علماء بنجاب للغة العربية (رسالة الدكتوراه) لمحمد طفيل (ص : 203) و تذكرة الأنصار(ص: 12)

9 - ولد السيد عليم الله بن عتيق الله بن فيض الله الحسيني البلخي ثم السرهندي في أسرة كريمة النسب عام 1109هـ . ويصل نسبه إلى زيد بن الإمام حسن بن علي رضي الله تعالى عنهما . وكان أبوه عتيق الله عابداً زاهداً طول حياته ، وتوفي عام 1131هـ . وكان من علماء جالندهر المعروفين ، وأخذ عنه الشيخ بهلول البركي بن الشيخ أوحد الدين مرزا خان البركي . وألف عدّة كتب باللغة الفارسية ، منها : نزهة السالكين در سلوك وسخنان ميران بهيك ، وأنهار الأسرار ، شرح بوستان لسعدي الشيرازي ، وشرح أخلاق ناصري ، وزبدة الروايات .توفي السيد عليم الله الجالندهري في 16 من شهر صفر عام 1202هـ

راجع : نزهة الخواطر (7 / 237) باكستان مين فارسي أدب (ص : 398)و الثقافة الإسلامية في الهند (ص :200) وحديقة الأولياء (ص : 106-107) وأنوار العارفين (ص : 493-494) وتذكرة علماء الهند (ص : 350)

10 - إيضاح المكنون (2/624) و باكستان مين فارسي أدب (ص : 400- 401)

11 - نثر الجواهر (ص:2)

12- انظر : Persian Literature(p : 206)

13- انظر : الثقافة الإسلامية في الهند (ص:90)

المصادروالمراجع

1- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي - الوفا بأحوال المصطفى – تصوير دار الكتب العلمية ببيروت للطبعة الأولى سنة 1408 هـ.

2- ابن فارس ، أبو الحسين ، أحمد بن فارس - أوجز السير لخير البشر صلى الله عليه وسلم – مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة 1359هـ

3- إسماعيل باشا - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، استانبول ، الطبعة سنة 1947م .

4- البدخشاني ، مقبول بك ، البروفيسور - تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند – (الأردية) المجلد الرابع ، فارسي أدب ، طبع جامعة بنجاب ، لاهور، 1971م .

5- الحسيني ، السيد عليم الله بن السيد عتيق الله الجالندهري نثر الجواهر في تلخيص سير أبي الطيب والطاهر (فارسي) – طبع في مطبعة خادم التعليم بنجاب ، لاهور سنة 1902م .

6- الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى - حياة الحيوان الكبرى - طبع شركة مصطفى البابي الحلبي ، مصر الطبعة الثالثة 1376هـ .

7- رحمان علي ، مولوي - تذكرة علماء هند - (الأردية) نقله من الفارسية محمد أيوب قادري ، طبع : باكستان هستوريكل سوسائتي ، كراتشي .

8- زبيد أحمد ، الدكتور _ عربي أدبيات مين باك وهند كا حصه - الترجمة الأردية - اداره ثقافت اسلاميه – لاهور

9- ظهور الدين أحمد ، الدكتور- باكستان مين فارسي أدب – (الأردية) (1119م – 1259م) طبع إدارة تحقيقات باكستان بجامعة بنجاب ، الطبعة الأولى سنة 1977م.

10- عبد الحي بن فخر الدين الحسني - الثقافة الإسلامية في الهند – طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الثانية 1403هـ .

11- عبد الحي بن فخر الدين الحسني - نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر – طبع دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ، الهند ، تصوير الطبعة الأولى 1376هـ .

12- علي محمد الأنصاري - تذكرة الأنصار - نقله من الفارسية إلى الأردية مرزا هادي بيك ، طبع المكتبة العلمية ، لاهور

13- غلام سرور اللاهوري ، مفتي- حديقة الأولياء - طبع إسلامك بك فاؤنديشن ، لاهور ، عام 1976م

14- محمد حسين ، حافظ مرادآبادي - أنوار العارفين - (فارسي) مطبعة منشي نول كشور ، لكناؤ

15- المناوي ، محمد عبد الرؤف بن محمد - فيض القدير شرح الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطي – طبع المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى سنة 1356هـ

16- STOREY , C . A .- Persian Literature – The Royal Asiatic Society of Great Britian & Ireland. 1970

شیخ زاید اسلامک سینٹر کی نئی کتاب

قید و بند کا اسلامی تصور

ڈاکٹر محمد اعجاز